بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية به ترقى

حول القراءة بالقراءات الأربع الزائدة على العشر

وصيحة نذير

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية

حول القراءة بالقراءات الأربع الزائدة على العشر

وصيحة نذير

رضي الله عنكم

أنتم بمكانكم من العلم حيث يعرفكم الناس زادكم الله نورًا، فحمل قولي على أحسن المحامل:

هل مَنْ ذكروا الأربع اتفقوا فيما رووه عن أصحابها؟

ثم ألم يدخل في الأربع ما قرَّره النويري –رحمه الله- في القول الجاذِّ؟

ألم تروا أن الهُذَلي ذكروا من الأوجه التي وجدها مروية ما لو خر المرء من السماء خير له من أن يزعم ثبوت روايته له، وقد سمعت أحد أساطين الدنيا في الحفظ يزعم ذلك رحمه وغفر له.

فالتعمق في العلم يثمر الحق والصواب، وقد يغدو غلُوًا يثمر الشك والارتياب، وأعوذ بالله من شقشقة ننشرها لنصرف بها وجوه الناس.

بذا لا يلبث الناس أن يصححوا قراءة منسوبة في البخاري إلى أبي الدرداء وابن مسعود –رضي الله عنهما- يذكر أحدهم في سلسلة السند أن أبا الدرداء وعلقمة عن ابن مسعود لا يقرآن فيها إلا (والذَّكَرِ والأنثى)!!

بل يرد المتواتر الثابت في مصاحف المسلمين (وما خلق الذكر والأنثى).

وها هي أسانيد خمسة من العشرة تمر بهذين الجبلين.

فإن زعم من قرأ الأربع أنه روى كتبًا ذكرت الأربع فذلك سبيل إجازة الكتب، أما الزعم بأنها تقرأ تعبُّدًا فلا والله لا أجد قولًا إدًّا مثله، وما هو إلا هدية يحذيها قائلها لمحرفي الشيعة، واللاغين في القرآن.

وما عرفتك عن قرب فضيلة الشيخ عمرو لكنني أحببتك عن بعد، وودت -وعزة ربي- أن تكون أحد الرواد الذين يضبطون هذه الفوضى الآخذة في الانتشار حتى صار هذا يزعم إسنادًا غرَّه منه ظاهره، ثم ادَّعى له وبه دعوى عريضة، ولا يكون ذلك إلا بأن نترك بعض الإيغال العلمي المضر، والغلو المعرفي المبالغ لننظر في مآلات ما نقول به، أفليس يفضي بنا إلى توهين نقل القرآن بدلًا من تعظيمه، وتوقيره؟!

ولقد أحسن قمر الدنيا السخاوي في (جمال القراء) حين بدأ حديثه عن الشواذ بهذه القاعدة العظيمة: "والذي لم يزل عليه الأئمة الكبار القدوة في جميع الأمصار من الفقهاء، والمحدثين، وأئمة العربية توقيرُ القرآن، واجتنابُ الشاذ، واتباع القراءة المشهورة، ولزوم الطرق المعروفة في الصلاة، وغيرها".

فتأمل -أيدك الله- قوله: "توقير القرآن".

ثم إن السخاوي[1] نقل لنا قواعد كلية في كيفية التعامل مع المعرفة رواية ودراية.. لقد ظننت أن المرء لو قدَّم لها مثقال أحد ذهبًا لكان ذاك قليلًا في حقها، فلنذهب إلى عَلَم الدين لننظر ما ننقله عن –رحمه الله- عن طود الدنيا ابن مهدي:

القاعدة الأولى: "لا يكون إماماً في العلم من أخذ بالشاذ من العلم".

القاعدة الثانية: "ولا يكون إماماً في العلم من روى عن كل أحد".

القاعدة الثالثة: "ولا يكون إماماً في العلم من روى كل ما سمع".

ونقل عن الحارث بن يعقوب:

القاعدة الرابعة: "الفقيه كل الفقيه من فَقُهَ في القرآن، وعرف مكيدة الشيطان".

ونقل عن يحيى بن عبد الله بن مليكة شأنًا يعضد هذا المسار، حيث قال خلاد بن يزيد الباهلي: قلت ليحيى بن عبد الله بن أبي مليكة: إن نافعًا حدثني عن أبيك، عن عائشة -رضي الله عنها- أنها كانت تقرأ (إذ تَلِقُوْنَهُ) وتقول: إنَما هو وَلْقُ الكذب.

فقال له يحيى: ما يضرك ألَّا تكون سمعته من عائشة؟

نافع ثقة على أبي، وأبي ثقة على عائشة -رضي الله عنها-.

وما يسرني أني قرأتها هكذا، ولي كذا وكذا.

قلت: لِمَ؟ وأنت تزعم أنها قالت؟

---

[1] جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٣٢٣)

قال: لأنه غير قراءة الناس.

ونحن لو وجدنا رجلاً يقرأ بما ليس بين اللوحين ما كان بيننا وبينه إلا التوبة، أو نضرب عنقه.

نجيء به عن الأمة، عن الأمة، عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- عن جبريل –عليه السلام- عن الله -عز وجل-، وتقولون أنتم: حدثنا فلان الأعرج، عن فلان الأعمى، ما أدري ماذا! أن ابن مسعود يقرأ غير ما في اللوحين، إنما هو، والله، ضرب العنق، أو التوبة.

وقال هارون: ذكرت ذلك لأبي عمرو - يعني القراءة المعزوة" إلى عائشة -رضي الله عنها- فقال: قد سمعت هذا قبل أن تولد، ولكنا لا نأخذ به.

وهذا الموضوع قد أهمني مذ أكملت العشر الكبرى في ٩٤م في المرحلة الجامعية، وبناء عليه كتبت خطتي لبحث الماجستير في ٩٧م عن التواتر والاجتهاد في القراءات، ومرت بذلك قصة، لكن تأملي في مثل هذه الآثار دفعني إلى حضِّ أكثر من طالب من طلابي الأذكياء ليحضِّروا رسائلهم في ذلك، والذي وصلتُ له أن مثل أثر عائشة -رضي الله عنها- لا يعدو أن يكون وهمًا من راوٍ في الإسناد، أو تفسيرًا توهم راويه أنه قراءة.

وما زلت أعجب من القواعد الراسخة التي وضعها السخاوي –رحمه الله- في كتابه ذلك، فمن ذلك قوله:

قلت: وإذا كان القرآن هو المتواتر، فالشاذ ليس بقرآن؛ لأنه لم يتواتر، فإن قيل: لعله قد كان مشهورًا متواترًا، ثم ترك حتى صار شاذًّا.

قلت: هذا كالمستحيل بما تحققناه من أحوال هذه الأمة، واتباعها لما جاء عن نبيها -صلى الله عليه وآله وسلم-، وحرصها على امتثال أوامره، وقد قال لهم - صلى الله عليه وآله وسلم-: "بلِّغوا عني ولو آية"(١)

والإمام هنا يذهب مذهب ابن حزم نائيًا عن مذهب الطبري -رحم الله الجميع-..

وتنبَّه متقدمو المحقِّقين من علمائنا إلى خطر القول بجواز القراءة بهذه الصورة، فها هو تلميذ ابنِ مجاهد عبدُ الواحد بن عمر بن أبي هاشم يقول عن حالة من قرأ بما صح في العربية ووافق الرسم: "فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل، وتورط في منزلة عظمت بها جنايته على

---

(١)جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٣٢٥).

الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله -عز وجل- من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه، ولا من خلفه، إذ جعل لأهل الإلحاد في دين الله بسيء قِراءته طريقًا إلى مغالطة أهل الحق بتخير القراءات من جهة الكتب"[1]

وقد يقول قائل: هذا فيما لا إسناد فيه؟

فالجواب ذكر السخاوي –رحمه الله- مراده من هذا النقل بعد، فقال: " لا تجوز القراءة بشيء منها لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذي ثبت به القرآن، وهو التواتر، وإن كانت نقلته ثقات، وإن كان موافقاً للعربية، وخط المصحف؛ لأنه جاء من طريق الآحاد، فتلك الطريق لا يثبت بها القرآن"[2].

ثم زاد الأمر تقعيدًا وبيانًا كأنما يتكلم عن حالنا، فقال: "ولقد نبغ في هذا الزمان قوم يطالعون كتب الشواذ، ويقرؤون بما فيها، وربما صحفوا ذلك، فيزداد الأمر ظلمة وعمى".

ولقد نقل الشيخ القاضي –رحمه الله- عشرات الأمثلة على اضطراب النقل عن الأربعة فيما عزوه إليهم.. حتى لتشعر بالبلاء في ذلك.

ومن قبله بوَّب النويري –رحمه الله-، فقال: «فصل في حصر المتواتر في العشر»[3]، وقال: «أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشرة، وكذلك أجمع عليه القراء أيضا إلا من لا يعتد بخلافه».

ومما قرَّره في ذلك: «فإذا تقرر هذا فالقراءة المنسوبة إلى الحسن البصرى مثلًا إذا وجد فيها ما يوافق رسم المصحف والفصيح من العربية، لا بد من صحة النقل عنه، ولا يكفى وجود نسبتها إليه في كتاب ما على لسان شيخ ما، وكل ما كان من هذا القبيل في حكم المنقطع؛ فلا يجوز أن يسمى قرآنًا.

وقد اشتهر في عصرنا الإقراء برواية منسوبة إلى الحسن البصرى، كان شيخنا فخر الدين البلبيسي إمام الجامع الأزهر- نضر الله وجهه- يسندها عن شيخه المجد الكُفتي عن ابن نمير

---

(1) جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٣٢٨)

(2) جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٣٣١).
(3) «شرح طيبة النشر للنويري» (١/ ١٢٧).

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

السراج بسنده إلى الحسن البصرى، مع أن في إسناده المذكور الأهوازي، وهو أبو على الحسن بن على الدمشقي أحد القراء المشهورين المكثرين لكنه متهم في نقله عن جماعة عن الشيخ، وقد ذكر له ابن عساكر الحافظ في تاريخه ترجمة كبيرة ونقل تكذيبه فيها عن جماعة، ومن كان بهذه المثابة لا يحتج بما تفرد به، فضلًا عن أنه يُدَّعى أن مقطوع به، ومن ادَّعى طريقًا غير هذه إلى الحسن فليبرزها؛ فإن التجريح والتعديل مرجعه إلى أئمة النقل لا إلى غيرهم.

وقد وجد فيما نقل من هذه الطرق عن الحسن عدة أحرف أنكرها بعض من تقدم ممن جمع الحروف، كأبي عبيد والطبري»[1].

هذه نفثات مصدور لا مكتوبات سطور، وإني لأرجو أن ينظر المشايخ -أكرمهم الله- في مآلات الأقوال قبل أن ينظروا في جزئيات الأحوال، وتفاصل الناقلين في نقل القراءات عن أماجد الرجال.. والله المستعان، فعسى أن يهدينا الله سبيلًا رشدًا، وينزل السكينة على قلوبنا لننهج صراطًا قويمًا مؤيدًا.

والحمد لله رب العالمين.

[1] «شرح طيبة النشر للنويري» (١/ ١٣٥)

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com